سلسلة كن جيداً، وانطلق

Be Good, Do Good

قصص تربوية

# لم أعد أخاف



# لَم أَعُد أَخاف!

كانَ هُناكَ عَنكَبوتٌ كبيرٌ ذو شَعرٍ يَطفو بجِوارِ الصَّابون السَّائِل.. فتَسمَّر ليام في مَكانِه عندَما رآهُ ولم يعُد يُحسُّ بالعالمِ من حَولِهِ! واستَغرقَ الأمرُ دقيقةً كاملةً ليستعيدَ السيطَرةَ على نفسِه، ثم ركَضَ إلى غُرفةِ الجلُوس، وكان يرتجِفُ من الخوفِ كورَقةِ شَجرٍ هائِمةٍ في مهبِّ الرّيح، ثمَّ راحَ يصرُخُ «عَنكَبوت، عنكَبوووت!» وهو يتعلَّقُ بثَوبِ والدتِه ويشدُّهُ نحوَه.

التقطَت السيّدةُ وانغ على الفَور صَحيفةً مطويّةً كانَت بجانِبها وحملَت أيضاً قَارورةَ رشّاشِ مُضادِّ الحشَرات، لاستخدامها في حال فشِلَت بالقَضاءِ علَيه من أوّل مرّة.. وكانَت خطتُها تَقضي بشلِّ



العنكَبوتِ بواسِطةِ رذاذِ مُضادٍّ الحشَرات ثمَّ قتلِه حينَ يُصبحُ في غَيبوبةٍ! ثمَّ فكّرَتْ وهي عابِسة الوَجه:

«غداً سوف نتّصلُ لاستِدعاءِ خِدمةِ مُكافحةِ الآفَاتِ والحشَراتِ».. وكان ليام يتساءَل أحيَاناً إذا كان سُلوكُ والدتِه شَديد الذُّعرِ هذا هو ما يسبّبُ له الخوفَ أكثَر.

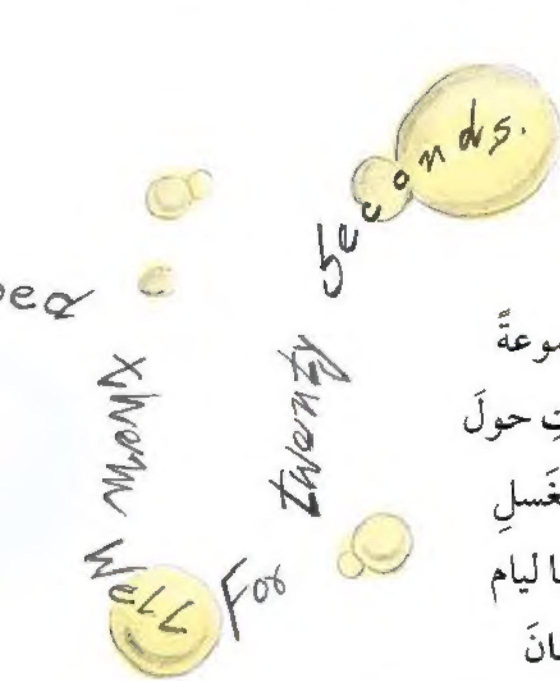


لم يكُن لدى ليام أيّ إخوةٍ أو أخَواتٍ، وكان والداهُ يُغدِقان الكثيرَ من الاهتِمامِ على طفلِهما الصَّغير الخَجول والجبَان.



وكانَت والدتُه غالِباً ما تلقّبُه وتنادِيه بِـ
«الحسَّاس»، وهي واعيةٌ جِداً للمُحافَظةِ على
نظافتِه ونظافةِ المنزِل، وقد وضعَت مطهِّراتٍ

لليدَين في زوايا مُهمَّةٍ مختلفةٍ من المنزلِ
المتَرامي الأَطراف.. كما أنّها كانَت تضعُ دائِماً
عُبوةً في حقيبتِها وعُبوةً في حقيبةِ ليام المدرسيّةِ
أيضاً..




وكذلك
سجَّلَت على
جِدارِ الحمَّام
الخاصّ بِابنِها مجموعةً
كاملةً من التَّعليماتِ حولَ
الأُسلوبِ السَّليمِ لغَسلِ
اليدَين، وقد حفِظَها ليام
عن ظَهرِ قَلب.. فكانَ
يقومُ بفَركِ يدَيه بشكلٍ جيّدٍ لمدّة
عِشرين ثانية، مع رِعايةٍ خاصّةٍ للجُزءِ
الخلفيِّ من اليدَين والمعصَمَين وبين الأصابع
وبالطَّبعِ الأظافِر.. وهو لم يكُن يلمِسُ الصنابيرَ

ومقابِضَ الأبوابِ بيدَيه العاريتَين، ويغسِلهما
دائِماً قبلَ أن يضعَ أيّ طعامٍ في فمِه، كما لا



يلمِسُ الكِلابَ والقِططَ أبداً. وعلى الرَّغمِ من
أَنَّه أحبَّ الحيواناتِ الأليفةَ، إلا أنَّ والدتَه أقنعَته



أنَّ الحيوانات كائِنات حامِلة وناقِلة للجَراثيمِ والأمراضِ.. وهو يعتقدُ أنّها تعلَم ما هو الأفضَل له.

بدا والدُ ليام يتعاطَى بهُدوءٍ أكبَر مع الأحداثِ المأساويّةِ الصَّغيرةِ التي تقعُ في المنزِلِ في كثيرٍ من الأحيانِ، وهو لم يستَطِع أبداً أن يفهَمَ هاجسَ زوجتِه مع النَّظافةِ، ويبدو كلُّ شَيءٍ نظيفاً بالنّسبةِ له.. ولهذا السَّبب كان ينمُو في نفسِ ليام خَوفٌ غير مبرَّر وغير عَقلانيّ من الأشياءِ التي حولَه.. وكانَ يحبُّ البقاءَ في منزِله لمشاهدةِ التّلفازِ أو قراءةِ إحدى قصصِ هاري بوتر المفضَّلة.. لم يكُن لدَيه الكَثير من الأصدِقاء.. وكان معظَمُ





الصِّبيان في المدرسةِ ينادونَه بـِ «زَهرَة الثَّلج» بسببِ وجهِه الشَّاحِب، وكانوا يرمونَه ببعضِ الحشَرات بين الحينِ والآخَر. لقد كانُوا كما يقولُ «مجرَّدَ صِبية!» وكان ليام متألقاً في المدرسةِ ويتصرَّف دائِماً بشكلٍ جيِّدٍ.. كما كان مَليئاً بالحماسةِ والاهتِمامِ بجميعِ أنواعِ المعارِف، فيَقرأ كثيراً عندما يريدُ أن يحسَّ بالبَهجةِ والسُّرورِ.

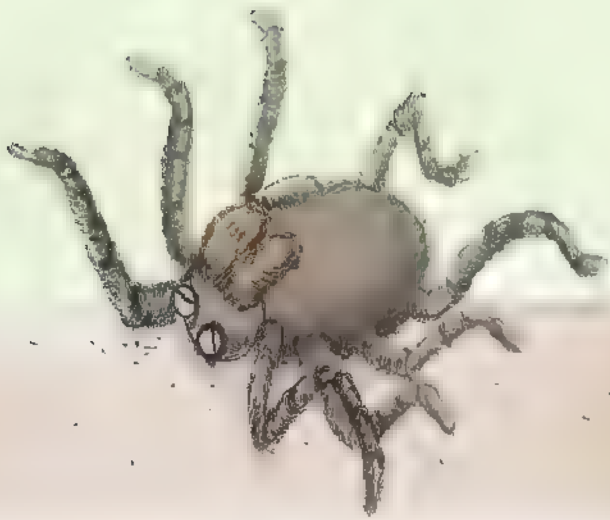
كانت العَناكِب الرقم واحِد على قائِمةِ ليام للأشياءِ التي يخافُ منها.. ولكن بالطَّبع هنالك أشيَاء أُخرى يخافُ مِنها أيضاً.. فقد كانَ يخافُ من الظَّلامِ.





وكان يركُضُ في الممرّاتِ المظلِمةِ ويغنّي بأعلَى صوتِه، وهو على قَناعةٍ بأنَّ الأشباحَ سوفَ تهرُبُ بَعيداً إذا كان الصَّوتُ عالِياً بما فيه الكِفاية. أما صَفير الرِّياح وسَط الأشجَار فكانَ يُثيرُ الرَّعشَات في جسمِه، فينَام والوِسادةُ فوقَ رأسِه في كثيرٍ من الأحيَانِ. وكانت والدةُ ليام تقومُ من فراشِها وسطَ اللَّيلِ لتطمئِنَّ عليه، خُصوصاً في اللَّيالي العاصِفة.. ثمَّ تعيدُ الوِسادةَ إلى مكانِها الأصليِّ فوقَ رأسِه عندما تتأكَّد بأنَّه غارِقٌ في النَّوم.. وكثيراً ما كانَت العواصِفُ الرَّعديةُ والبَرقُ تدفعُ ليام للذَّهابِ إلى غُرفةِ نومِ والدَيه. ومع ذلك كلِّه، إلا أنَّ العَناكِب هي أكثَر ما كان يُرعبُه.. إنها مخلوقاتٌ قبيحةٌ زاحفةٌ، تقبعُ في الزوايا المظلِمة، وتنسِجُ خيوطَها





البَغيضةَ بَحثاً عن فَريسةٍ. ولم يكُن ليام ليهتمَّ كَثيراً برجلِ العَنكبُوت الشَّهير.. وهو يغطّي عينَيه إذا رأى العناكبَ على شاشةِ التّلفازِ.. كما لا يمكنُه



أن يتحمَّلَ إلقاءَ نظرةٍ على الصُّوَر أو الرُّسومِ التوضيحيَّةِ للعَناكِب، وهو على استِعدادٍ لأن يركضَ أميالاً هَرباً إذا واجَه واحِداً منها.



والغريبُ ما في الأمرِ أنّه كلَّما حاولَ تجنُّبَ العناكِب أكثَر كلَّما التَقى بها أكثَر.. وعندَما يجدُ عنكَبوتاً يتحرَّكُ ببُطءٍ على نافِذةِ غُرفةِ نومِه، يقومُ بفتحِ بابِ الخِزانةِ هَرباً ليجدَ نفسَه وكأنَّه يظهرُ في عيونِها الخرَزيّة. ولم ينزِل ليام أبَداً يَوماً مع والدِه إلى قبوِ الطابقِ السُّفليِّ، وكانا يخرُجان كَثيراً إلى الحديقةِ ويجمَعان أوراقَ الزُّهورِ وأوراقَ الأشجارِ المتساقِطةِ والمختَبئةِ بين الأحجارِ والأعشَاب.. لقد كانَت مثل العَناكِب التي تطارِدُه. وكان ليام في بعضِ الأحيانِ يَرى في منامِه أنَّ العَنكبوتَ الذِّئبيَّ الشّرير الهائِل قادِمٌ إليهِ بينَما يكون هو عائداً من المدرَسةِ، وهو يقولُ له:

«انتَظِرني يا ليام! أنا ذاهِبٌ معكَ إلى البيتِ



أيضاً».. وحتى مجرَّد تذكُّر هذا الكَابوس كان يجعَله يرتَعِد ويخَاف.

وفي مساءِ أحدِ أيّام الإثنَين الماطِرة سمعَ ليام صوتَ خَربشةٍ خافِت.. فنظرَ في المكانِ حولَه بقلقٍ وهو يتساءَل ما هذا الصَّوت! ركَّز على صوتِ الحسَاءِ في فُرنِ الميكروويف فسمعَ ذلك الصَّوتَ مرّةً أُخرى.. لقد كانَ بالتأكيدِ قادِماً من بابِ المطبَخ الذي يؤدّي إلى الفناءِ الخلفيِّ. توجَّهَ ليام ببطءٍ نحو البابِ ثمَّ توقَّفَ وهو يتساءَل: هل كانَ ذلك مُواءً خافِتاً؟ هذا هو مجدّداً بصوتٍ أعلى قَليلاً. فتحَ البابَ قَليلاً وإذ بِه يشعُرُ بشَيء ليِّنٍ عندَ ساقِه.

وللَحظةٍ بَدا متوتّراً جِداً ولم ينظُر إلى الأسفَل، ثمَّ سمعَ صَوتاً واضِحاً كالخَرخَرة! إنها قِطّة! لقد


Wait for me Liam! I'm coming home with you too

كانَت تلكَ القِطةُ الشَّقراءُ المبلَّلةُ والمتَّسِخةُ تحاولُ دُخولَ المطبَخ. فخطرَت ببالِ ليام أفكارٌ مقلقةٌ راحَت تجولُ في رأسِه، فقد كان يعتقدُ أنَّ القِطّةَ تحملُ داءَ المقوِّسات (التوكسُوبلازما) والسَّالمونيلا وحُمّى القِطَط وجميعَ أنواعِ الأمراضِ.. كان مُواءُ القِطَّة يدعو إلى الحزنِ، فاهتزَّت نفسُه.. لم يستَطِع ليام أن ينقذَ نفسَه وهو يربِّتُ على رأسِها بإربَاكٍ.. وفَجأةً سمعَ صَوتاً يقولُ «كوكو! كوكو! كوكو!»

كان هناكَ شخصٌ ما بسُترةٍ فِرائيّةٍ حَمراء وقبَّعة يشقُّ طريقَه نحو البابِ، «كوكو! عزيزتي، تَعالي إلى هُنا».. وعلى الفَورِ قفزَت القِطةُ مباشَرةً إلى ذِراعَي صاحبِها. رفع صاحبُ القِطّةِ القُبَّعةَ ليتبيَّنَ لليام أنها



فَتاة، شعرُها يلمَع وقَطَرات الماءِ تتساقَطُ منه. قالَت: «مرحَباً!» أنا آسِفة لحصولِ هذا، أحياناً تكون قِطَّتي فوضويّةً ومضطربةً... ثمَّ ابتسمَت ابتسامةً مُشرقةً. فتذكَّر ليام فَجأةً أنَّ عليهِ التصرُّف



بأخلاقٍ حميدةٍ، وقالَ متلعثِماً: «حسَناً... حسَناً لا بأس.. إنها قِطةٌ لطيفةٌ».

ثمَّ خطرَت ببالِه فِكرةٌ بأنَّه يجبُ استِخدام الصَّابون الخاصّ المضَاد للبَكتيريا الذي خزَّنَته والدتُه





للحالاتِ الطارِئة. وخِلالَ الأُسبوعِ التّالي وجدَ ليام القِطّة كوكو تُحاولُ التسلُّل إلى المطبَخ أكثَر من مرّةٍ، وكان في كل مرّة يجدُ الفتاةَ تلحَق بها. وبعدَ فترةٍ قصيرةٍ علمَ ليام أنَّ الفتاةَ تسكُن بجوارِه



فِي الجانبِ الآخَر من الشَّارِعِ.. لقد انتَقلَت مؤخَّراً مع عائِلتِها، وكانَ من الواضِح أنَّ القِطَّة مشوَّشةٌ قليلاً.. كان اسمُ الفَتاةِ سامانتا، ولكنَّها أصرَّت على ليام أن يُنادِيها بِاسمِ «سَام». وبحلولِ اليَوم




السابع على قُدومِها كان لِليام صَديقَةٌ جَديدةٌ.
وفي يومٍ من الأيامِ وعندَما كانت سام تَطوي
سِروالِها الجينز اكتَشَفَ ليام أنّها ترتَدي دعامةً
في ساقِها اليُسرى.. فقالَت له: «إنَّ قدَمي ضَعيفةٌ



قليلاً، لذلك وُضعَت هذه الدَّعامة عندما كنتُ في السَّادِسةِ من عُمري»، وهي تُشيرُ باتجاهِ قدمِها.

أحسَّ ليام بالخَجَل من تفحُّصِ قدمِها بيدَيه، لكنَّه أخبرَ والدتَه عن حالةِ سام، فقالَت له: «إنَّه لأمرٌ

محزنٌ! ولا بُدَّ أنّه صَعبٌ جِداً على والدَيها. يجبُ علَيكَ أن تكونَ لَطيفاً مع تلكَ الفَتاةِ الجميلةِ يا ليام».. فأحسَّ ليام «أنَّ مُشكلةَ سام أمرٌ محزنٌ حَقاً».

لقد كانَت فتاةً ذكيّةً مُفعمةً بالحيويّةِ، ولم تكُن تُشعِر أيّ شخصٍ أنها بحاجةٍ للشَّفقةِ. وعلى العَكسِ من أُمِّ ليام التي كانَت تظلُّ دائِماً في الأنحاءِ القَريبةِ منه، كانَ والدا سَام وإخوتها لا يُشعِرونها أبداً أنّ هنالك شَيئًا ما غَير طبيعيٍّ فيها.. وفي المرّةِ الأولى التي دُعيَ إلى منزِلهم لتناولِ وَجبةِ الغَداء، وجدَ مُفاجأةً سارّةً في الطّريقةِ التي يمرَحون ويضحَكون بها طوالَ فَترةِ الغَداء..

وبعد ذلكَ قامَت سَام لتساعدَ والدتِها في تنظيفِ الطّاولةِ. كانَت أوقاتُ تناولِ



الطَّعامِ عندَ عائِلةِ ليام هادِئةٌ وتتَّسِمُ بالكآبةِ، حيث يسودُ الصَّمتُ الجوَّ العامَّ. ولكن في مَنزِلِ سام لا أحدَ يهتمُّ بكَونِ الموادِ الغِذائيّةِ «عُضويّة» أو بالحبوبِ الخالِيةِ من «الغلوتين» أو بأكلِ الحبوبِ



بدَل الحشائِش. وكانَت هذه المصطلَحات ليسَت لها أهميّة على الإطلاقِ في هذه الأُسرة. وردّاً على سُؤالِ ليام إذا كانَت اللُّحوم عُضويّة، انفجَرَ الجميعُ من الضَّحِك، فتفاجَأ ليام جِداً! ثم ركَّز





فقَط على تناولِ طعامِه، وشعرَ بأنَّه لم يذُق أيَّ شيءٍ لذيذٍ.

ومع مرورِ الأشهُر كانَت صَداقةُ ليام مع سام تنمو أكثَر فأكثَر.. وعلى الرَّغمِ من اختِلافاتِهما الواضِحة، كان لديهِما الكثيرُ من الأمورِ للتحدُّثِ بها. أرادَت سام أن تفعلَ كلَّ ما يستطيعُ أن يفعلَه أيُّ طِفلٍ آخَر في سنِّها.. وإذا حدَّقَ النَّاسُ في وجهِها، حدَّقَت هي أيضاً في وجوهِهم حتى يُبعِدوا أنظارَهم عنها. وكانت سام فتاةً صغيرةً قويةً، ولم يسمَع منها ليام كلمةَ شَكوى واحِدة.. ولكنَّه كان يَراها أحيَاناً تنظُرُ بشَوقٍ إلى الأطفالِ المندَفعين في الحيِّ على درّاجاتِهم الهوائيّةِ، وقد شعرَ بخَيبةِ أمَل عندما لم يتمكَّن من أن يُريها منزلَه فوقَ الشجَرة. ومع ذلكَ، كان هُناك الكَثير من الأشياءِ يقومَان بها.. فكانا يقضِيان ساعاتٍ في التمدُّدِ على العُشبِ، والنظرِ في الغُيومِ وتخيُّلِ





أشكالٍ رائعةٍ، كالوُجوهِ والفيَلةِ والسَّاحِرةِ التي تركبُ فوقَ عَصا المكنَسَة. كما كانا يقومَان باختِراعِ الألعابِ الخاصّةِ بهما، أو يضحَكان بقُوّةٍ على أشياءَ تافِهةٍ ولا يتوقَّفان حتّى يُحسَّا بألمٍ في المعدةِ من شِدّةِ الضَّحِكِ. وكان السيِّدُ وانغ يشعُرُ بالمفاجَأةِ السارّةِ حينَ يجِد ليام يَقضي الوقتَ في الهواءِ الطَّلقِ ويتعرَّض لبعضِ أشعّةِ الشَّمس. وكان وجهُ ليام مُشرِقاً، ولم يعُد ذلكَ الصَّبيُّ الشاحِب الوَجه.

كان ليام قد انشَغَل عن التفكيرِ بالعَناكِبِ منذُ وقتٍ طويلٍ جداً.






وفي مساءِ أحَد الأيّام، سألَت سام ليام بقلقٍ شديدٍ بادٍ على وجهِها إن كان قد رأى القِطَّةَ كوكو في أيِّ مَكانٍ، وكانَت قد اختَفَت منذُ الصَّباح!

والآن أصبَحَت السَّماء مُظلِمة، وهي تتساءَل عمّا إذا حدَث لها أيُّ مكروهٍ. خرجَ الصَّغيران وبيدِ




أحدِهما مِصبَاح يدويّ وصارا يُناديان: «كوكو! كوكو! تَعالِي إلى هنا يا عزيزتي أينَ أنتِ؟» كتَمَت سام بُكاءَها، وكانَ صوتُها يخفُتُ شَيئاً فشَيئاً، فتساءَلَ ليام في نفسِه إذا كانَت على وشْكِ البُكاءِ. وكانَ الصَّغيران قد ألقَيا نظرةً خاطِفةً خلفَ كلّ

شُجَيرة، وطرقا أبوابَ الجيران، حتى أنّهما نَظرا داخلَ بعضِ صَناديقِ القُمامةِ، ولم يجِدا القِطَّة.

وكان ليام يَعرفُ أنَّ أمَّه سوفَ توسِعهُ ضَرباً قبلَ أن يُصابَ بالجَراثيمِ.

عادَ الصَّغيرانِ وهما في حُزنٍ شَديدٍ، بدأَت سام تشهقُ بالبُكاءِ وتمسَح دموعَها وتفرُك عينَيها بكمّ



قَميصِها.. وكان ليام يحاولُ جاهِداً عدمَ البُكاءِ.
وبعدَ أن عانَقَ ليام سام عِناقاً سَريعاً وانصرَف،
وأثناءَ دُخولِه إلى المنزِلِ، سمعَ فَجأةً مواءً خافِتاً.
فصاحَ ليام بأعلَى صوتِه: «سام! ساااااام! سام!».
فهرَعَت سام بالعَودةِ إليه، وكلُّها أمَل بأن تَرى
الفَرحةَ في عينَيها.. قالَ ليام: «العُلِّيّة!». ولم



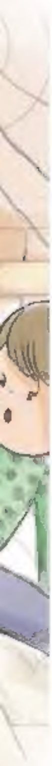
يكَد يُنهِي كلمتَه حتّى انطلَقَت سام بسُرعةٍ نحو العُلّية، وهي الغُرفة الواقِعة في الطبقةِ العُلويّة من المنزِل.. ولم يَسبِق لليام أن رآها تنطَلِقُ بهذهِ السُّرعة. فتَحا البابَ وكان يُصدرُ صَريراً، وإذ بها غُرفة مُظلِمة مَليئة بالغُبار، ثمَّ لمحا شَيئاً خَافتاً وسطَ الظَّلام.. كانَت كوكو واقفةً على كَومةٍ مهترئةٍ وممزَّقةٍ من الكتبِ القَديمة. كانَت القِطّةُ الشَّقراءُ السَّاذَجةُ والمضطَربةُ تُصدرُ هَمساً خافِتاً، وقد ظلَّت واقِفةً طيلةَ ساعاتٍ بعد إغلاقِ العُلّيةِ على نفسِها. وعندما اندفَعَت سام نحوَها قفزَت القِطةُ فوقَ أحدِ الرُّفوفِ نحو الأرضِيّةِ، وقد حدثَ كلُّ ذلكَ في جُزءٍ من الثانيةِ. وفَجأةً صرخَت سام بصوتٍ عالٍ عندَما انكَسَر أحدُ رفوفِ الأرضيّةِ وسقطَت قدمُ القِطّةِ إلى الأسفَل. وقبلَ أن يفهَم ليام ما يحدُث، كانت سام قد وقعَت في شركِ العنكَبوت الذي نسجَهُ في الغُرفةِ. فنادتهُ سام:




No no no

«ليام، ساعِدني!» نظرَ ليام حولَه بَحثاً عن شَيءٍ ليضربَه بِهِ بقوّةٍ، بينَما راحَ يصرُخُ لأمّه وأبيه.. وكانَ يستطيعُ سماعَ الصوتِ المرتفعِ للتّلفازِ، فأدركَ أنَّ عليهِ أن يتصرَّفَ بسُرعةٍ. فقالَ «اثبُتي يا سام»، واستدارَ لينزلَ نحو الطابقِ السُّفليّ طَلباً لمساعدةِ والدَيه.. ولكنَّ سام صرخَت: «لا، لا لا! ليام، لا تترُكني هُنا».. تحرَّكَ ليام إلى الأمامِ فرآه، إنَّه أكبَر عنكَبوتٍ في العالمِ يقفُ على ذراعِها! ذلك العَنكَبوتُ الذِّئبيُّ جاءَه أخيراً.. لم يعُد ليام يستَطيع التنفُّس.. وتشكَّلَت قطَراتٌ صغيرةٌ من العَرقِ على جبهتِه وراحَت تسيلُ على وجِهه.

تراجَعَت سام بِضعةَ بوصاتٍ إلى الخَلفِ، وصرخَت صرخةً رهيبةً أيقَظَت ليام من



رُعبِه.. فكان عليهِ أن يختارَ إمّا النُّزول وإما مساعدَتها.. ولكنَّه فكَّر أنَّه لا يمكنُ أن يسمَحَ لأيٍّ مكروهٍ أن يحدثَ لسام.. وبضربةٍ واحدةٍ سَريعةٍ بمؤخِّرةِ يدِه أبعدَ العنكبوتَ، ثمَّ سحبَ سام بكلِّ قوةِ جسمِه الصَّغير بشكلٍ مفاجِئٍ، فسقَطَ كِلاهُما على ألواحِ الأرضيّةِ وأحدَثا ضَجّةً كبيرةً، جعلَت والدَيه يركُضانِ نحوَ الطابِقِ العُلويّ. وعندمَا فتحَ ليام عينَيه رأى القِطةَ كوكو تلعقُه بلسانِها الورديِّ الصَّغير، في حين أنَّ والدتَه أُصيبَت بالإغماءِ بين ذراعَي والدِه!

أخبرَت سام الجميعَ بما فعلَه ليام البَطَل! وأمّ ليام، بطبيعةِ الحَال، ظلَّت تخفّفُ من هَولِ الحادِثةِ عن ابنِها مدَّةَ أُسبوعٍ.





be afraid...

أصبَحَ ليام يقرأُ الكثيرَ من الكُتُبِ
عن العَناكِبِ الآن.. إنَّه لا يزال
يخافُ منها ولكن لا داعِي للذُّعرِ
عندَما يَرى واحِداً منها.. لأنَّه علمَ أنَّ
معظَمها غَير مؤذٍ إلى حدٍّ ما، على
الرَّغمِ من أنَّه ليس لديهِ النيّةُ للَمسِ
أيٍّ منها مرّةً أُخرى.. وظلَّ ليام وسام
أفضَلَ الأصدِقاء. وأَخيراً، ليام لم
يعُد يَخاف!



**العِبرَة من القِصَّة:**
الشَّجاعةُ تَبني شَخصيَّةً قويّةً لا تُهزَم.